لماذا الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم؟

بداية إن طرح سؤال : " لماذا الدفاع عن النبي ﷺ ؟ " يعتبر من البديهيات لدى كل مسلم بل من صميم الإيمان، فإنه لن يكتمل إيمان المسلم بدون تعظيم الرسول صلى االله عليه وسلم وتوقيره والذب عنه بكل ما يملك حتى نفسه الذي بين جنبيه.

وقال عز وجل آمرا:{لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح: 9] "فأبان أن حق رسول الله ﷺ في أمته أن يكون معززا موقرا مهيبا"[1]

بيد أن الإجابة عن هذا السؤال من باب التذكير وتنبيه الغافلين المنهمكين في هموم الحياة الدنيوية في وقت تفنن فيه الكفار في العدوان على مقام رسول الله صلى االله عليه وسلم بشتى الطرق صراحا وتلميحا، وأصبح مطلبا ضروريا متحتما على كل مسلم في أية بقعة وجد أن يدافع عن عرض النبي صلى الله عليه وسلم وينصر سنته ما استطاع إليه سبيلا، وليس هذا الأمر من النوافل أو من هوامش الاهتمامات؛ وإنما هو إيمان وتوحيد وطاعة، ولذا نقول – تذكيرا وتنبيها في الجواب المختصر- ندافع عن نبينا وحبيبنا صلوات االله وسلامه عليه لأسباب:

١- النبي ﷺ مناط الاتباع وسبيل نجاة الدنيا والآخرة، فلا هدى إلا فيما جاء به، فلن يبقى في الحياة من لذة يتلذذ بها مسلم إذا نيل من هذا المناط، وهو لا يذاد عن حياضه ولا يتحرك سكونه، أو ليس هذا خللا حقيقيا في العقيدة الإيمانية؟ ولذا أدب النبي صلى االله عليه وسلم أصحابه- والأمة تابعة لهم- ألا يقدموا أي شيء من حطام الدنيا عليه، حينما قال له عمر – والنبي صلّى اللّه عليه وسلّم آخذ بيده : يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى االله عليه وسلم: " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال له عمر رضي الله عنه: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى االله عليه وسلم:" الآن يا عمر" [2].

قال الخطابي: " فمعناه أن تصدق في حبي حتى تفنى نفسك في طاعتي، وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك ".[3]

وكما أخبر النبي صلى االله عيه وسلم أن حقيقة حلاوة الإيمان في محبة الله تعالى ومحبته صلى الله عليه وسلم فقال:" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" " [4] . فهذه الخصال الثلاثة كما ترى تتعلق بالقلب والروح، وبها يصلح القلب ويتقوى ومن ثم صلاح الجسد فتستقيم الحياة الطيبة.

٢- لأن الدفاع عنه صلى االله عليه وسلم عنوان محبته الاختيارية الشرطية لكمال الإيمان، ولذا يقول صلى االله عليه وسلم "لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين[5]" فالدفاع عنه صلى االله عليه وسلم أعظم من الدفاع عن النفس والنسل والمال والعرض، ومقدم على تلك الضروريات، وإنه مستقر لدى العقلاء جميعا أن صيانة دعامة شيء من التعرض للتلف والحرص على ذلك أولى من بقية مكوناته، وكيف يكون الأمر إذا كانت الدعامة من دعائم الإيمان والإسلام؟ وعليه فالدفاع عن النبي صلى االله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الدين، وعبادة وقربة عظيمة جليلة نتقرب إلى االله عز وجل.

يقول تعالى محذرا: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24]

فهذه الآية الكريمة تنبه بأن إيثار هذه الأمور على الدفاع عن الله ورسوله قد يؤدى إلى نزول العقوبة والعذاب.

3- لأنه صلى االله عليه وسلم كان رؤوفا رحيما رفيقا وشفيقا على الأمة، وهو القائل عليه الصلاة والسلام – موضحا لمبالغة شفقته على أمته -:" مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها قال فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني تقحمون فيه" [6].

ولقد فزع أهل المدينة عندما سمعوا الصوت المدوي في غلس الصباح الباكر وخرجوا منزعجين خائفين، فرأوه صلى الله عليه وسلم عائدا من مكان الصوت على فرس عرى وسيفه في رقبته، وهو يقول لهم: "لن تراعوا"[7].

وكان يقول:" لولا أن أشق على أمتي .."[8] وكثير ما يرد مثل هذا الشعور والشفقة منه في القول والعمل، ولقد أوذي عليه الصلاة والسلام وحوصر وضيق عليه أشد التضييق من أجل أن يبلغ الدين الحنيف، بل ضحى بكل ما يملك على هذا السبيل كي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وينقذهم من الجاهلية العمياء إلى نور الهداية الإلهية، ولذا كان الدفاع عنه صلى االله عليه وسلم من باب المكافأة والوفاء- وإن لم نستطيع وصوله- في مقابل ما صنع للأمة وما قام به صلى الله عليه وسلم من الخدمات الجليلة، وأعظمها تحرير عقول البشر من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وحده، فإنه لشرف عظيموهنيئا مريئاً لمن نذر حياته في الدفاع عن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وكل ما يتصل به.

قال تعالى : {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ} [التوبة: 40]

[1] شعب الإيمان 3/96

[2] رواه البخاري (6632)

[3] المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي 2/15

[4] متفق عليه

[5] متفق عليه

[6] متفق عليه

[7] رواه البخاري (6033)

[8] متفق عليه